زعزع عاصف ما يقاسونه من الآلام، ويدعوهم إلى مقاومة القوة الغاشمة بالقوة الغاشمة دفاعاً عن حقوقهم المهضومة وذودا عن كرامتهم المثلومة. فهاج أهل الجحيم وماجوا وعلا منهم الضجيج، فاطفأوا جمرة الجحيم وزحفوا ثائرين هائجين ونشبت حرب ضروس بينهم وبين زبانية النار عاضد فيها الشياطين أهل الجحيم وانجدت الملائكة زبانية جهنم ورموا بالصواعق والرياح والأعصار، والبروق والرعد. والبحار والجبال والبراكين. وكانت الحرب بادى ذى بدء سجالا. الا انها اسفرت فى النهاية عن انتصار أهل الجحيم، فطاروا على ظهور الشياطين يطلبون الجنان، فاحتلوها وطردوا منها البله المساكين

ومن الانصاف للعلم والحقيقة قبل الانصاف للزهاوى أن نقرر هنا بأن الزهاوى لم يقصد من ثورته فى الجحيم الشك بوجود الله عزوجل كما ظن السوادُ الأعظم من بنى قومه وإنما كان مسلماً قوى الايمان إلى أقصى حدود الايمان والأمثلة على صحة ما نذهبُ اليه وافرة نوردُ منها ما يتسع له النطاق الذى حددناه لهذه الكلمة :

قال مادينك الذى كنت فى الدنيا عليه وأنت شيخ كبير
قلت : كان الاسلام دينى فيها وهو دين بالاحترام جدير
قال من ذا الذى عبدتَ فقلت الله ربى وهو السميع البصير
مذهبى وحدة الوجود فلا كا ئن غير الله القديم القدير
أنا هذا ، فلا أبالى إذا ما اجمعت ثلة على تكفيرى
أهل عصرى لا يفقهون حديثى حبذا لو أتيت بعد عصور
أنا ما كفرت بكل عمرى بالكتاب المنزل
أنا لم أزل اشدو بنعت للنبى المرسل
يسائلنى عن مذهبى وعقيدتى فريق من الأشياخ ما أنا منهم
فقلت لهم أما السؤال فبارد وأما جوابى فهو أنى مسلم
ولكننى ما كنت يوماً مقلداً يرى أن حكم العقل فى الدين مأثم
فالقلب منى بالخرافات مولع ولا الرأس منى بالخرافات مفعم
لا درَّ درّ الجاهلين فانهم يرمون بالالحاد من لا يلحد
إن كان من يبدى الحقيقة ملحداً فليشهد الثقلان أنىَ ملحد
أحمد البارى الذى يتساوى عنده إيمانى به وجحودى
كلنا مؤمن يسبح للرحمن فى ظل عرشه الممدود
إننى ما سجدت يوما لغير الله فالله وحده معبودى

(البقية فى العدد القادم)

أحمد المصرى

٨٠٢٥

٥ ـ دعابة الجاحظ

للأديب محمد فهمى عبد اللطيف

... والآن فلننظر إلى الجاحظ فى ضحكه، ولقد كان الجاحظ ضحوكا طلقا تستخفه النادرة فيقهقه ملء شدقيه، ويقصد إلى الأضحاك فيبلغ من ذلك غايته. وإنك لتجده فى ضحكه وإضحاكه ـ كما كان فى تهكمه وسخره ـ مطبوعا موهوبا خفيف الروح. لطيف الاشارة. ظريف الأداء، طريف المقصد، فهو فى إضحاكه يسلك السبيل اللاحب إلى القلب، ويصل إلى قرارة النفس فى ملاطفة وسهولة. وخفة وبراعة، وإنه ليهز المشاعر بالنادرة يبتدعها، ويشنى القلب بالملحة يرسلها، ولقد تصرمت السنون وخلت القرون وما زالت نوادر الرجل ومضاحيكه فى بطون الكتب إذا ماوقع عليها القارىء فلا يستطيع الامساك مهما كان فى وقاره، ومهما اعتورها بالنظر ورددها فى اللسان. وعلى أن النادرة لا يكون لها فى الاضحاك مكتوبة كمثل ما يكون لها إذا ماجرت تحت المعاينة، فان المكتوب لا يصور لك كل شىء، ولا يأتى لك على كنهه وعلى حدوده وحقائقه (١)، وأما إذا ما أخذ الرجل فى الضحك فأنه ينطلق فى غير احتشام، ويجرى فى الشوط إلى أبعد غاية. حدث عن نفسه قال : صحبنى محفوظ النقاش من مسجد الجامع ليلا، فلما صرت قرب منزله وكان أقرب إلى المسجد من منزلى، سألنى أن أبيت عنده، وقال أين تذهب فى هذا المطر والبرد، ومنزلى منزلك، وأنت فى ظلة وليس معك نار، وعندى لبأ لم ير الناس مثله، وتمر ناهيك به جودة، فلت معه فأبطأ ساعة ثم جاءنى بجام لبأ وطبق تمر، فلما مددت قال يا أبا عثمان : إنه لبأ وبه غلظة، وهو الليل وركوده، ثم ليلة مطر ورطوبة، وأنت رجل قد طعنت فى السن، ولم تزل تشكو من الفالج طرَفا، وما زال الغليل يسرع إليك، وأنت فى الأصل استَ بصاحب عشاء، فان أكلت اللبأ ولم تبالغ، كنت لا آكلا ولا تاركا وحرشت طباعك، ثم قطعت الأكل

(١) النجلاء ص ٧، ط السلفى

أشهى ما كان إليك ، وإن بالغت بتنا فى ليلة سوء من الاهتمام بأمرك ، ولم نعد لك نبيذاً ولا عسلا ، وانما قلت هذا الكلام لئلا تقول غداً كان وكان ، والله قد وقعت بين نابى الأسد ، لأنى لو لم أجئك به وقد ذكرته لك ، قلت : بخل به وبدا له فيه ، وإن جئت به ولم أحذرك منه ولم أذكرك كل ما عليك فيه قلت لم يشفق على ولم ينصح ، فقد برئت اليك من الأمرين جميعا ، وإن شئت فأكلة وموتة ! وإن شئت فبعض الاحتمال ونوم على سلامة ! ! فما ضحكت قط كضحكى تلك الليلة ، ولقد أكلته جميعاً فما هضمه إلا الضحك والنشاط والسرور فيما أظن ، ولو كان معى من يفهم طيب ما تكلم به لأتى على الضحك أو لقضى على ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب [1]

فانظر يارعاك الله إلى أى حد كان يغرق الجاحظ فى الضحك والمرح ، وإلى أى حد كانت النادرة تستخف وقاره ، وتهيج نشاطه ، وتجلب له كل هذا من البشر والسرور . وماذا تقول فى رجل لو وجد من يساجله الضحك ويجاذبه السرور لما أمن على نفسه الموت سروراً وضحكا ؟ ! على أن ما قاله صاحبه لمن يكن ليحمل على كل هذا ولا يدعو إليه ، فياليت شعرى أكان الجاحظ يعيش فى الحياة بقلب فارغ من الهموم والمشاغل ، بعيد من الأحداث والأوصاب ؟ أم كان ذلك الرجل يضحك عن فلسفة ورأى ، فهو يعتقد أن هذه الحياة الفاجرة أحقر وأهون من أن يسفح الدمع فى الحرص عليها ، وأن يسجن القلب فى سبيل الودادة إليها ، وأن يتكلف لها ما يتكلفه بعض الناس من التزمت والوقار ، وكزازة النفس ، وضيق العطن ، أولئك الذين ابتعدوا من المرح لأنهم زعموه ينافى المروءة ، وحرموا أنفسهم نعمة الضحك لأنهم استقبحوه بالوقار ! ! قال الجاحظ ولو كان الضحك قبيحا من الضاحك وقبيحا من المضحك ، لما قيل للزهرة والحبرة والحلى والقصر المبنى كأنه يضحك ضحكا وقد قال الله جل ذكره : وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا ، فوضع الضحك بحذاء الحياة ، ووضع البكاء بحذاء الموت ، والله تعالى لا يضيف إلى نفسه القبيح ، ولا يمن على خلقه بالنقص ، وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيما ، ومن مصلحة الطباع كبيراً ، وهو شىء فى أصل الطباع وفى أساس التركيب ، لأن الضحك أول خير يظهر من الصبى وقد تطيب نفسه ، وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذى هو علة سروره ومادة قوته . ولفضل خصال الضحك عند العرب تسمى أولادها بالضحاك وببسام ، وبطاق و بطليق . وقد ضحك النبى صلى الله عليه وسلم وفرح ، وضحك الصالحون وفرحوا ؛ وإذا مدحوا قالوا هو ضحوك السن ، بسام العشيات وذو أريحية واهتزاز ؛ وإذا ذموا قالوا هو عبوس وهو كالح ، وهو قطوب ، وهو شتيم المحيا . وهو مكفهر أبداً وهو كريه وبغيض الوجه ، وكأنما وجهه بالخل منضوح [2].

فالجاحظ إنما كان يقصد إلى الضحك والأضحاك : لأنه ذلك فى رأيه ، يكون موقعه من سرور النفس عظيما ، ومن مصلحة الطباع كبيراً ، وهو شىء فى أصل الطباع وفى أساس التركيب ، وهو أول خير يظهر من الصبى » ، وإذن فليأخذ الجاحظ فى الضحك والاضحاك ما استطاع حتى يغتنم هذا الخير فيسر نفسه ويصلح طباعه ، وما أحوجه إلى ذلك . ومن ذا الذى لا يضحك على هذا الشرط ، ويسبق إلى الأضحاك إذا ما صح عنده هذا الاعتقاد الذى كان يعتقده الجاحظ ؟ وكان الله قد أراد أن يسعد الرجل فى هذه الغمرة ، وأن يعده لأداء هذه المهمة ، فبرأه مرح النفس أو على حد تعبيره ـ ذو أريحية واهتزاز كما برأه فى منظر جهم ، وشكل هو المثل السائر فى القبح والدمامة ، فكان الرجل لا يتورع ولا يتحرج من أن يجعل من ذلك مصدر ضحك وإضحاك ، فيتفكه بقبحه ودمامته ، ويتندر بما فيه من شذوذ الوضع وجهامة الشكل ، بل لقد كان يحلو له ذلك ويتعمده ويسوقه إلى الناس وهو قرير العين . طيب الخاطر ، حتى لتحسبه فى تلك الناحية ممثلا هزلياً وقف على الخشبة ليضحك الجمهور ،

(١) النجلاء ص ١٠٢ وما بعدها

(١) النجلاء ص ٩

ويدلهم على مواضع الدمامة فى شكله ، والنقص فى خلقته وماذا ترى فى رجل يحدث عن نفسه بهذه الصراحة فيقول : ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده . فلما رآنى استبشع منظرى فأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى !!

وقال فيما قال عن نفسه : ما غلبنى أحد قط إلا رجل وامرأة فأما الرجل فأنى كنت مجتازاً فى بعض الطريق ، فاذا برجل قصير بطين كبير الهامة طويل اللحية مؤتزر بمئزر وبيده مشط يمشطها ، فقلت فى نفسى : رجل قصير بطين ألحى ! فاستزريته فقلت : أيها الشيخ : لقد قلت فيك شعراً !! فترك المشط من يده وقال : قل فقلت :

كأنك صعوة فى أصل حش أصاب الحش طش بعد رش[1]

فقال اسمع جواب ما قلت ، فقلت هات ! فقال :

كأنك جندب فى ذيل كبش تدلدل هكذا والكبش يمشى[2]

وأما المرأة فأنى كنت مجتازاً فى بعض الطريق ، فاذا أنا بامرأتين رأيت إحداهما فى العسكر وكانت طويلة القامة ، وكنت على طعام فأردت أن أمازحها فقلت لها : انزلى كلمي معنا ! فقالت : إصعد أنت حتى ترى الدنيا ! ! فهو يعرض بطولها وهى تعرض بقصره

وأما الأخرى فأنها أتتنى وأنا على باب دارى فقالت : لى إليك حاجة وأريد أن تمشى معى ! فقمت معها الى أن أتت بى الى صائغ يهودى وقالت له : مثل هذا !! ثم تركتنى وانصرفت ، فسألت الصائغ عن قولها فقال : انها أتت الىّ بفص وأمرتنى أن أنقش لها عليه صورة شيطان ! فقلت لها مارأيت الشيطان حتى يمكن أن أصوره ، فأتت بك وقالت ما سمعت !!

وقد لا يخجل من أن يتندر على نفسه بالبلاهة وبالغفلة ، ومن ذلك ما ذكره عن نفسه إذ قال : جلست إلى المرآة وقد أمسكت بالمقراض أريد أن أقرض من لحيتى ما زاد على القبضة من تحت ولكنى نسيت فقرضت ما فوق القبضة ، وتلك من اختراعات الجاحظ وتلفيقاته . وللرجل من أمثال هذه كثير ، وكلها من هذا الطراز الذى يطل منه الجاحظ صريحاً فى الضحك على نفسه ، جريئاً فى الاضحاك بما يمسه فى سمته ، فلا يخجله أن يتحدث عن بشاعة منظره الذى أفزع المتوكل فصرفه عن تأديب أولاده ، وجعل المرأة تقدمه إلى الصائغ على أنه شيطان ، والأخرى تعرض بقصره ، والثالثة تخجله بالنادرة ، والشيخ يمثله بالجندب فى ذيل الكبش . . . فأما إذا ما أخذ الرجل فى الضحك على غيره من الاخوان والأصدقاء ، والحمق والنوكى والموسومين والمدخولين ، وأهل العىّ والحصر والنجلاء والأطلة ، والمكدين وأصحاب التطفيل ، فانه يكون أصرح وأجرأ ، وأحلى ، وأملح ، وقد عنى الرجل بأخبارهم واهتمّ بالحديث عنهم ، وما أعرف له كتابا يخلو من ذكرهم ، وإذا كان من الاطالة أن نسرد ما للرجل فى كل ذلك فلا بأس من أن نسرد بعض ما له في مقال آت

(له تابع)

محمد فهمى عبد اللطيف

(١) الصعوة عصفورة صغيرة كثيرة الصفير والحش بيت الخلاء والطش كثير المطر والرش قليله (٢) الجندب الجرادة

الى طلبة المدارس الثانوية

بخصوص إمتحانات اللغة الفرنسوية

ظهرت الطبعة الثانية للنشرة المخصصة لدروس السنة الثانية (ثانوية) فى اللغة الفرنسوية . وهى من تأليف الموسيو ر . صادوفسكى (بكالوريوس آداب) B.es.L. المدرس فى المدارس المصرية

وتحتوى هذه النشرة شروح كتاب اللغة الفرنسوية المستعمل فى المدارس وقواعد أجرومية اللغة ، وطريقة نظامية لضبط كلماتها .

ولمناسبة قرب الامتحانات السنوية ، من صالح جميع الطلبة الذين يهمهم النجاح أن يقتنوا هذه النشرة التى تضمن لهم اتقان دروسهم فى اللغة الفرنسية والفوز فى امتحاناتهم.

تطلب من مؤلفها رقم ١٠ شارع الحوياتى بمصر وترسل لطالبيها خالصة الأجرة مقابل ٣ قروش صاغ طوابع بريد